لا يعرف أحد اسمه الثانى، لا يهدأ ليلاً أو نهاراً، فريدة، من هذا إلى ذاك، يلبى ويخدم، يسأل ويستفسر، يواسى ويهدئ، يضحك ويشارك، لم يره أحد خارج المقهى، ولم يعرفه أحد متمدداً أو نائمًا، الشائع أنه بعد انصراف الزبائن يوارب أبواب المقهى وينام ساعة أو ساعتين لاغير، يتهلل ويقبل عند ظهور عم شرف.

«أهلاً حمامة».

لا يفارقه طوال مدة مكثه فى السويس، زمن الحرب لم يفترقا، كان عم شرف يتردد على المدينة مرتين على الأقل أسبوعيًا، ينقل أعمدة الخرسانة الجاهزة إلى مواقع تركيبها، نجا بأعجوبة من غارات الطيران الإسرائيلى، فى إحدى المرات دار الطيار وهاجم العربة بالرشاش الغليظ، أثناء طيرانه على ارتفاع منخفض لمح ملامح الطيار، اشتبكت نظراتهما، لحيظة عابرة، لكنها علقت بذهن عم شرف، وكثيرا ما طلب محبوه وصحبه الإصغاء وسألوه التفاصيل.

أين عم خليل الآن؟ أين؟

أين الطلة على هاويس إسنا، وبلوغ أسيوط ليلاً وعبور شارع الخزان، عبور مدن الصعيد، أبراج الحمام، النخيل الكثيف ورائحة لها قوام، مزيج من عصور شتى وأزمنة سحيقة البعد، نائية، صمت الخرابة المدفونة ودعوتهم له ليجوس فى المعبد المهجور ليلاً، لم يعشق أنثى كما أحب قوام تلك الماثلة فوق الجدران، بروزها خفيف، لمستها لزوجها الملفوف بالكفن الأبيض، قال له مرافقه.

«أنت فى حضرة آلهة يا عم شرف . .».